

427-ريح السموم

كانوا يسمونها ريح السموم، تأتي من الشرق عبر تخوم الصحراء قاسية حارقة، تهلك الحرث والنسل. إن حلت بين ظهرانهم، عوت كألف ذئب، تصول وتجول بين الأكواخ الهشة، تطل بعيونها النهمة من أصغر الشقوق على الصبية الوجلين، لتضاعف من فرق الأمهات حسب اعتقادهن، كل ذلك اللهب البيغض في عز الشتاء هو تهديد ابن مرة (الشیطان) غيرة من بني البشر، وبراءة الطفولة هي أشد ما يشتميه.

لأنها تذكره بطهارة زمن سحيق انزلت من يده غصبا كحبات الرمل، كلما أحكم قبضته عليها، كلما زاد انفلاتها إصرارا. آخر مرة هبت عليهم على حين غرة. اقتلعت التربة والجذور الفتية، عرت الأرض فغدت جلودا صلدا عاقرا، وعرت معها شيئا آخر، بصمة عميقة كالحة كالختم الناري، تتخللها أثار أكسدة الحديد الحمراء كالدم المتحجر، كانت مخالها متجهة نحو القرية!



428-صورة تذكارية

اعتدلوا بتأنق في جلستهم عارضين أنفسهم على المصور في أبهى وضعية مع ابنتهم المتوفى منذ أيام، إكراما لذكراه. توسطهم ومحياه يرسم لامبالاة الموتى.

ضوء وامض، ثم انفضوا لشئونهم الدنيوية بعد وضع جثمان الفقيد في عهدة التراب.

مر أسبوع حين طرقت المصور منزل الأب وقد مزقت وجهه الحيرة: سيدي اعتذر.. بعد تجميع الصورة.. لم.. لم..

-أفصح.. ما المشكلة؟

-انظر بنفسك سيدي، عشرون سنة من احتراف التصوير ولم أر شيئاً مثل هذا!

بفضول أمسك الأب المستطيل الورقي، ففرق فيه بشرود. وسط الصورة يظهر الميت لوحده بوضوح مبتسماً مع نظرة تتفجر بالحياة، وكأنه معلق في الهواء مسنداً من جانبه على دعامة أو شخص خفي..

ثم.. لا شيء آخر!

□□□

429-الانعكاس

-خدمة الطوارئ.. ما مشكلتك؟

-أرجوكم أرسلوا دورية للشرطة.. رأيت شخصاً مقنَّعاً بالشارع ينظر إليّ بشكل مرعب عبر زجاج نافذتي بالدور الأرضي.. العنوان هو..
كان صوتها تتخلله رعشة الخوف..

-اهدئي سيدتي.. وشغلي جهاز الإنذار بمنزلك.. سيصل عناصر الأمن خلال عشر دقائق.. الزمي مكاناً آمناً حتى يطرقوا بابك.

أغلقت جميع المنافذ، وتضاءلت بإحدى الزوايا تراقب الزقاق، نسيمٌ باردٌ قرصٌ خديها، تضاعف حجم حدقتها لما سمعت جهاز الإنذار، وباب المدخل الرئيسي مفتوح. هرولت لتقفله مجدداً وهي تلتفت يمناً ويسرة. خيال حالك ارتسم ببؤبؤيها يتعد خارجاً بهدوء رهيب. عرق بارد تفجر من جذور شعر ناصيتها متخذاً سبيلاً متعرجاً ليتدفق خلف أذنها وجانبي عنقها.

الغريب الذي رأت لم يكن بالخارج، كان معها بالهو، خلفها تماماً، خدع بصرها لما رأت انعكاسه على الزجاج. من شدة الذهول لم

تلقِ بالأل للطرُق الشدِيد على الباب وصوت اللاسلكي الذي كان ينبح
بصوت متحشرج!

□□□

430- حتى آخر رمق

يقال إن الرأس عندما تفصل عن الجسد يبقى الدماغ واعياً لبضع
ثوانٍ، يفتح خلالها عينيه على رعب ما بين العالمين. كان الأمر
مختلفاً معها!

بعد قطع رأسها رأيت شفتيها تتمتمان، تبين لي بعد فوات الأوان
أنها استغلت تلك اللحظة الرهيبة لإلقاء لعنتها عليّ.
كيف فعلت وحبالها الصوتية حزت؟

□□□

431- بيرومانيا

ألقي عليه القبض وأدين بتهمة إضرام النار العمدم. المفضي إلى الموت
مع تعييب أشياء مخصصة للمنفعة العامة. تهم ثقيلة، لم ينف
ضلوعه في الأحداث الدرامية التي تصدرت اهتمام وسائل الإعلام.
وحده يعلم أن ذلك كان بشكل غير مباشر، إن النار أو شيئاً يسكنها
ناصبه العدا، ضغينة قديمة تعود لأيام خدمته في دائرة الإطفاء، نار
بذاكرة ملتبهة، تلاحقه أينما حل وارتحل، تفتح باب جهنم على محيطه.
يدرك أنه داخل السجن وقع في الفخ، لا مهرب.

لا ذنب له فيما سيحصل لباقي فئران المصيدة وسط الجحيم
المستعر!

□□□

432- تنويم

واحد.. اثنان.. ثلاثة..

صوت فرقة خفيف ثم.. لاشيء.

في فضاء معتم طفوت فوق جسدي، ثم تركز نظري على بؤبؤ عيني
الزجاجي، لمحت فيه طفل السابعة الذي كنت، بمنزل والدي،
بغرفة الحَمَّام أحمل فرشاة أسنان أمام المرأة.
بزاويتها اليسرى بقعة ضبابية كأن أحدًا ألصق بها أنفاسه،
توسطها كلمة مقلوبة تهجيتها بصعوبة : ب ره أ..
صرخت صرخة مدوية. سمعت المعالج من بعد سنوات ضوئية
يصاب بنوبة ذعر..
-أوقف التجربة!
لم أخرج منها كما دخلت..
جزء مني علق بالبؤبؤ!

□□□

433- الألم

صدقوني لم أكن أنوي قتله. الألم الذي كان يحرق ركبتيه مزق
قلي، أفرغنا محتويات الصيدليات دون جدوى، كلما زرنا طبيبًا رمقنا
باستعلاء، وتخلَّص منا بطريقة أو بأخرى. قلت في نفسي: "لا جنة
للبؤساء فوق هذه الأرض" ثم فكرت: "يجب أن أفعل شيئًا يخفف
عنه" رأيت أن فأس الحطاب التي نحتفظ بها في القبو أنسب أداة لبتتر
ساقيه، فهما لن تكونا بأي حال من الأحوال أقسى من جذع شجرة!
ثبته بقوة وأحكمت وثاقه رغم بعض المقاومة الضعيفة لأنه كان
عجوزًا، ثم هويت على ركبتيه بالفأس الواحدة تلو الأخرى. كنت
مخطئًا، كان الأمر أصعب بأشواط من قطع شجرة، الأشجار لا تصرخ
بتلك الطريقة الرهيبة التي كان يصرخ بها أي!

□□□

434- بالون

-بالون.. بالون.. بالووون..

تراقصت البالونات الملونة في الهواء مع النسيم القادم من جهة الشاطئ، بينها وبين الحرية يد البائع الخشنة. أعناق الأطفال اشربأت نحو السماء مراقبة تموجات الألوان جيئة وذهاباً. سيارة البائع مرتبصة بمدخل الغابة، فاعرة بايها الخلفي المفتوح على الظلمات، في انتظار طريدة جديدة!

□□□

435-الطارق

طق طق طق! طرقات الباب..

- من الطارق؟.. لا إجابة

نهضت على مضض.. فتحت.. لا أحد..

ريح باردة ننتة صفعتي..

وجدت نفسي أمام باب الجار وبيدي فأس تقطر دمًا!

استيقظت مذعورًا أتصعب عرقًا.. تهتدت.. كابوس مرعب..

طق طق طق!

□□□

436-نداء الحرية

وقف بارنوم يحدق في المرأة ذات اللحية الكثة، إحدى نجوم عروضه الغربية التي تستهوي وتشد الجمهور في كل مرة، وهي تستعد لملاقاة معجبيها. حاول نفخ صدره بكبرياء وعجرفة لكن بطنه الكبير حال بينه وبين ذلك، كان ذلك محبطًا لكنه اليوم في مزاج جيد فقد عثر منذ أيام على ضالته: مسخ بشري فريد من نوعه، الحلقة المفقودة بين القرد والإنسان! اليوم سيكون أول عرض رسمي له، منجم ذهب بالفعل! بدقة وصرامة وزع أوامره على مساعديه وتوجه بخطى ثابتة إلى أقصى زوايا المخيم حيث تقبع بضعة أقفاص داخل خيمة قدرة، على بُعد خطوات قليلة من هذه الأخيرة داعب بابتسامة رضا وجه

الحارس العملاق الذي يقف في المدخل وأمره بالتنحي، رفع الستار بيده وجلس القرفصاء أمام صديقه كما يحب أن يدعو، بعبارات منمقة بلغت درجة الكمال نتيجة تجربة سنوات من العمل الدؤوب خاطب المخلوق الخجول ليجري معه اتصالاً ذهنياً ويعدّه لحياة النجومية والمجد، لكن المعنى ظل صامتاً، وجه زوجته لا يفارقه، آخر مرة رأى عينها عندما كانتا تحدفان في السماء بعدما قتلوها واختطفوه، ابتسامة عريضة أضاءت محياه تركت بارنوم مشدوها. هل يستطيع هذا الشيء أن يبتسم؟ ما يجمله الآن هو أن هذا الشيء قرر اللحاق بزوجته، لكنه قبل ذلك ارتأى أن يأخذ معه هذا المخلوق المكتنز الذي يتمتم بعبارات بشعة لم يفهم منها حرفاً!

□□□

437- داخل حجرة قذرة، جثت ساحرة الفودو على ركبتيها تحمل رجل دجاجة، كانت تغمسها في سائل داكن وترش بها صورة ضحيتها التالية. في نفس الوقت كانت تنفث الكحول من فمها على النار التي كانت تستعر أمامها تزامناً مع كل نفخة.

أخيراً مسحت شفيتها بمنديل ورقي وحملت شفرة حادة جرحت بها راحة يدها اليسرى فتدفق الدم الدافئ على الصورة.

دم من فئة نادرة، فئة (ب) التي تسيل لعاب الشياطين لقوتها الروحية.

حاولت النهوض لإلقاء لعنة الموتى وهي تتمم التعاويذ فانقلب الإناء الفخاري المستعر بقطع الفحم، لتشب ألسنة اللهب في فستانها وتشرع في التهام جسدها بنهم، جوعى لرائحة الكحول التي تفوح منها.

سقطت وهي تتلوى من الألم وتنظر بعجز إلى مطفأة الحريق المعلقة
بإحدى الزوايا بعيداً عن متناولها.

□□□

438- التباس

ضغطت زر المصباح اليدوي، فتم تسليطه بسرعة على شيء
يتحرك. رأت أولاً فستاناً أبيض كالذي ترتديه يتوسطه ثقب فظيع
يقطر سائلاً أسود لزجاً، رفعت المصباح لترى أن الكل يعتليه وجهها
الشاحب!

□□□ .

439- قربان

إن تحققنا من الأمر جيداً، صديقنا البائس لم يسرق شيئاً ثميناً
بالمعنى المتداول بين عامتنا، حتى إنه لم يسرق! أخذ شيئاً اعتبره حقاً
له، ما دام ذلك الشيء مجرد قطعة حجر ملقاة على الأرض بطريقة
جد مملة، لا تعود ملكيتها لأحد، ولم يدع أحد العكس. كما أنها لم
تكن شيئاً فريداً، كانت وسط «أخواتها» تحت رحمة النوائب، لن
أسهب أكثر! بحكم عمله كصانع زجاج تقليدي، من تعرفون التقط
حجرًا بركانيًا! رغبة منه في استعماله بمشغله، كما رأى السكان
الأصليين يفعلون، خطؤه الوحيد والقاتل طبعًا هو أنه لم يأخذ
«الإذن» من سيدة البراكين ناماكا، كما اعتاد القرويون، الذين كانوا
يقدمون لها الهدايا والقرايين مقابل الحصول على عطاياها. كانت
القاعدة بسيطة: "إن لم تقدّم قرباناً، تصبح أنت القربان"، وإن كسرت
هذه القاعدة تصبح القرية هي البديل! وهكذا دواليك.. كلما كبرت
المخالفة اتسعت رقعة الغضب والدمار، لكن يبدو أن الجيران لم
يكونوا بمثل غبائه! تم الحد سريعاً من تبعات الضرر، أحكموا وثاقه
وأخذوه إلى مشارف الفوهة أعلى الجبل. لم تتأخر ناماكا، فهي سيدة
جد عملية: بدأت التهامه من رأسه الأجوف!

□□□

440- جريدة الصباح

لا غرابة في نشر خبر مقتل وزير في الصفحة الأولى بأهمّ يومية بالبلد، إلا في تفصيل صغير، العدد الذي ألصق بيديه أمام وجهه المحطم مع قهوة الصباح في سيناريو مربع مؤرخ قبل سنة!



441- الحب في جرعات

عدلت ربطة عنقه وعانقته بحرارة لدى الباب، كعادتها كل صباح. خرج للعمل يصفر لحنًا مرحًا وهو يحمل موتًا موقوتًا بين أضلعه، جرعة صغيرة من نكبتها الخاصة احتضنها فنجان قهوته المرة، كالمعتاد! طيلة العشرين سنة الماضية، لم يتأخر دقيقة واحدة في العودة؛ روتين ينقذ حياته دون أن يدري، في كل مرة يجد في استقباله كوبًا آخر يحمل الترياق! الجهل ببعض الأمور نعمة إلهية! ستأسف كثيرًا إن تعطلت سيارته في الطريق، إن علق في الازدحام، إن قرر -لا سمح الله- المكوث للسهر مع بعض المعارف! بغض النظر عن بعض الأضرار الجانبية، تلك مجازفة مسموح بها، ألا ترون؟

